ورقة عمل بعنوان:

توعيــة الحجيــج أهميتهــا وأبــرز وسائلهــا

مقدمة للملتقى الأول لأبحاث المدينة المنورة

والمنعقدة في شهر صفر عام ١٤٢٧هـ - الموافق مارس ٢٠٠٦م

والذي تنظمه جامعتي طيبة بالمدينة المنورة وأم القرى بمكة المكرمة

أعدّها:

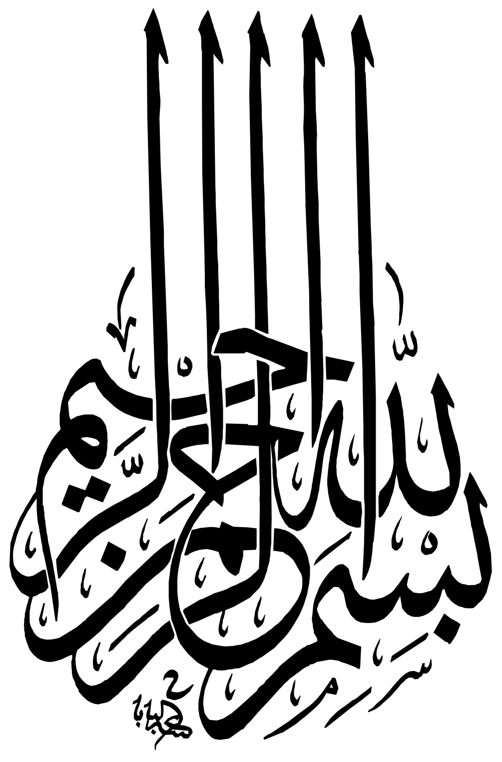
د. صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

وعضو مجلس إدارة الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

طباعة القطاني


بسم الله الرحمن الرحيم

توعية الحجيج أهميتها وأبرز وسائلها

أولاً:

لعلّ من نافلة القول التأكيد على أن تصرفات كل إنسان أفعاله في غالبها ناتجة عما لديه من علم ومعرفة، إذ تتشكل الفكرة أولًا لدى المرء ثم يتبعها العمل، وهو أمر معلوم معروف وقد جاء شرعنا المطهر بالإشارة الظاهرة إلى هذا الأمر، ففي صحيح البخاري استنباط عجيب لهذا الإمام الحافظ من آية في كتاب الله تعالى حيث بوّب ~ في كتاب العلم في صحيحه فقال:

« باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١] فبدأ بالعلم »[٢].

وتمام الآية كما في سورة محمد ﷺ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[٣].

ولأجل ذلك رتّب الله تعالى الأجر العظيم على تعلم العلم وتعليمه وتعليم الخير عمومًا، لما في ذلك من إصلاح أفكار الناس وتزويدهم بالعلم النافع بل جعل الله لمن يعلم الناس الخير ويدلهم عليه مثل أجور من عمل بذلك الخير الذي دلهم عليه دون أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا[٤]، وفي كتاب الله تعالى من الثناء عليهم وبيان اختصاصهم بمزيد فضل وميزة على من سواهم حيث إن العالِم ليس كالجاهل لا في

(١) سورة محمد ﷺ: (١٩).

(٢) صحيح الإمام البخاري، ك العلم، ب العلم قبل القول والعمل: (١/٢٩) (ط د، ت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الفكر).

(٣) سورة محمد ﷺ: (١٩).

(٤) انظر على سبيل المثال: كتاب العلم في صحيح البخاري ومسلم، وكتاب السنن لأبي داود والترمذي وابن ماجه والنسائي، وغيرها من الكتب المؤلفة استقلالًا في هذا العلم.

الحال ولا في المآل، فمن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

- ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (٢).

- ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (٣).

- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (٤).

وغير ذلك من الآيات العظيمة التي تثني على العلم وعلى أهل العلم من العلماء والأتقياء.

---

(١) سورة الزمر: (٩).

(٢) سورة المجادلة: (١١).

(٣) سورة العنكبوت: (٤٣).

(٤) سورة فاطر: (٢٨).

ثانياً:

إذا كان ذلك كذلك فلا بد من السعي الجاد في تثقيف الحجيج وتوعيتهم بما يفيدهم في أداء هذا المنسك العظيم بحيث لا يحطم بعضهم بعضًا ولا يؤذي بعضهم بعضًا، بل ولا يؤذي واحدهم نفسه، وهو يعتقد أنه ينفعها أو أنه يفعل ما يقربه إلى ربه -جلّ وعلا- ، لاسيما إذا أدركنا أنا لمفاهيم المغلوطة لدى الحجيج في هذا النسك العظيم كثيرة وخطيرة، كما أن استعدادهم للفهم والإدراك ضعيف وقليل.

ولعلّ من أبرز الوسائل التي يحسن الاستفادة منها في توعية وتثقيف الحجيج بكل ما يلزمهم معرفته سواء ما يتعلق بالأمور الصحيحة أو التنظيمية أو ما يتعلق بالمشاعر والتنقل المنظم بينها، لا بدّ أن يبدأ من الخارج، إذ لا بدّ من مخاطبة الدول بضرورة تأهيل من سيقدم لأداء المناسك ولو تأهيلًا أوليًا؛ ليكون قادرًا على أداء النسك بصورة منتظمة، فلا هو يؤذي نفسه ولا يؤذي غيره من المسلمين، لاسيما وأن الخلل قد يبدأه شخص ويهلك بسببه ألف شخص؛ لأن الغالب على أداء المناسك هو الاجتماع سواء في الطواف أو السعي أو عرفة أو مزدلفة أو منى ورمي الجمار وغير ذلك، فلا بدّ أن يعلم هؤلاء الحجاج أهمية الانضباط والمرونة والالتزام بما يبلغ لهم من تعليمات تصدرها جهات الاختصاص بالمملكة العربية السعودية ليس ذلك فحسب، بل يحذرون وينذرون بعقوبة من يخالف ذلك حتى لا يفسد على الحجاج حجهم.

ولا شكّ أن أمرً كهذا سيكون له دور أكيد ومؤثر في انتظام الحجيج، لاسيما ونحن نرى تجارب تؤكد نجاح هذه الفكرة، من ذلك تجربة ماليزيا في هذا الباب، إذ يُعد وفدها وفدًا مميزًا، وحجاجها في غاية الانتظام وحسن الأداء، فلو انتهجت بقية الدول هذا المنهج وسلكت هذا المسلك لرأينا ثمار ذلك في نجاح مواسم الحج.

ومما ينبّه عليه هنا: ضرورة أن تخاطب بالتبكير في إعداد الحجيج وتأهيلهم حتى إذا جاء الموسم يكون إعدادهم قد تمّ، لئلا يضيق الوقت عليهم فيحصل قصور في إعدادهم أو تأهيلهم كما ينبغي.

وامتدادًا لهذه الفكرة فإن الأمر ينبغي أن لا يقصر على مجرد المكاتبات قبل الموسم ثم ينتهي الأمر، بل لا بدّ من النظر في النتائج والتقرير التي تصدرها الوزارات المختصة، ومن ثمّ مكاتبة الدول التي حصل من حجاجها شيء من القصور، لتلافي ذلك القصور واتخاذ الإجراءات الحاسمة مع الدول التي لا تعمل على إعداد حجاجها وتأهيلهم؛ لأن الضرر لا تعاني منه المملكة فحسب، بل جميع الحجاج، وقد يكونون ضحايا لحجاج تلك الدولة أو الدول التي لم تساهم بفعالية في تأهيل حجاجها، وإذا اقتصر الأمر على مجرد المكاتبة دون المحاسبة ستبقى الأمور حبرًا على ورق؛ لذا لزم التنبيه والتحذير على مستويات أعلى للحد من التلاعب بأرواح حجاج بيت الله الحرام.

ومن الجوانب التي لا بد لها من استغلالها للقيام بدور في هذا الجانب:

. مقر سكن الحجاج:

وذلك بإلزام المؤجرين أو المطوفين باستغلال السكن في وضع لوحات إرشادية متعدّدة ومتنوعة في مواقع مختلفة من السكن، بحيث تكون مناسبة يستفيد منها الحجاج، على أن تشتمل هذه اللوحات الإرشادية على الإرشادات المهمة من وزارة الحج والدفاع المدني ووزارة الداخلية ووزارة الصحة وغيرها من الجهات ذات العلاقة.

ولا شكّ أن وضع هذه الإرشادات أمام الحاج في المكان الذي ينزل فيه ويتردّد إليه تجعله على تواصل دائم مع تلك التوجيهات والإرشادات، بحيث أنه لو لم يرها حينًا فسيراها حينًا آخر أو يحدثه بها من رآها، ولا شكّ أن تكرار رؤيتها سيجعلها ترسخ في ذهن الحاج مما يدفعه للالتزام بها بمشيئة الله تعالى.

ولعلّ من أهم ما يجب استغلاله:

. أماكن تجمع الحجاج:

وأهم تلك الأماكن بيت الله الحرام والمساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وذلك من خلال العلماء وطلبة العلم، فبجانب ما يبثونه من العلم والفقه والتوحيد لابدّ من استغلال تلك المنابر ومحبة الحجاج الفطرية لأهلها في توعية الحجيج بما يجب من التوجيهات التنظيمية التي تساهم في دفع كثير من المخالفات التي تضرّ بأداء هذا النسك العظيم وتخلّ به من خلال ما قد يحدث من تدافع وأذى من بعض الحجيج لبعضهم، وتناول ذلك من الجانب الديني الذي ولا شك يؤثر في الحجاج ويجد لديهم القبول التام -غالبًا- ولعل من أبرز الوسائل التنفيذية لهذا الأمر:

-استغلال منابر المسجد الحرام والمسجد النبوي بلغات متعددة تبث على مدار الأربع والعشرين ساعة متضمنة التوجيهات المهمة المتنوعة، ليس فيما يخص الحرم

فقط بل بصورة عامة، وتفعيلها بشكل أقوى مما هو عليه الآن وتشكيل لجان عليا لذلك، وليس إناطة الأمر بموظف قد لا يستوعب العمل أو يتهاون في أدائه.

وأقترح أن تُستغل مكبرات الصوت داخل الحرم في بث هذه التوجيهات وتوجيه طلبة العلم لتناول شيء منها في دروسهم داخل الحرم والتأكيد عليها.

-استغلال الكلمات والدروس داخل مساجد في مكة والمدينة، وعلى المنافذ التي يرتادها الحجاج، فإن للعلماء وطلبة العلم من القبول لدى الحجاج الشيء الكثير، لاسيما إذا استشعرنا أن الحجاج يؤدون نسكًا يعد الركن الرابع للإسلام، فهو من أعظم الأعمال التي قد لا يتأتى المسلم تكرارها طول حياته؛ ولأجل ذلك فهو يرجع فيها إلى من يستطيع مساعدته في أدائه على أكمل وجه حتى لا يحصل فيه خلل قد يبطله، ولأجل ذلك فهو محب سميع مطيع لطلبة العلم، بل لكل من تزيّ بزيهم وارتدى حلتهم؛ هذا القبول بلا شك سيجعل الحاج يقبل التوجيهات والإرشادات لاسيما إذا تم ربطها بشيء من الآيات والأحاديث، وتم إيصالها بكل سهولة إلى الحاج واستوعبها وفهم مضمونها.

أن الاستفادة من البعد الديني وتأثيره النفسي على الحجاج ومحاولة توجيههم من خلال أمر في غاية الأهمية، إذ من خلاله يمكن أن تحصل استجابة الحجاج والتمشي بموجب تلك التوجيهات ما لا يحصل إذا أغفل هذا الجانب أو جرى محاولة إجبارهم على أمر ما، ولأجل ذلك كان لا بدّ من استغلال هذا الجانب والاستفادة منه لاسيما وطلبة العلم والعلماء، ولله الحمد متوفرون ومستعدون للقيام بهذا الدور لكن لا بد من التنبه إلى أمور:

أولًا: لا بدّ من التبكير بأمر التوعية، وذلك مع قدوم الحجيج؛ لأن التأخر في هذا الأمر يقلل من حصول الفائدة فيه لاسيما وأن الأمر يحتاج إلى تكرار.

ثانياً: وضـع اسـتراتيجية أو خطـة عمـل لهـذا الأسـلوب في التوعيـة، يـتم فيـه استخلاص نتائج التجارب على مر السـنوات السـابقة، وتوضـع مـن خلالهـا الخطـة المقترحة.

ثالثًا: تظـافر وتعاضـد الجهـات ذات العلاقـة فـيما بينهـا في بيـان الأمـور التـي يحتاجون إلى التنبيه عليها، كما يحصل في غير مواسم الحج أحيانًا من وصول خطابـات من جهات متعددة لوزارة الشؤون الإسلامية أو التربية والتعليم لتوجيـه المعلمـين أو الخطباء للحديث عن قضية معينة، فكذلك هنا لا بد من التواصـل بـين الجهـات ذات العلاقة لتوعية الحجيج بالوسائل الأكثر فائدة.

ثالثاً:

ملاحظات عامة ومقترحات في شأن التوعية للحجاج:

١) لن تتم الإفادة من تلك التوجيهات والإرشادات التي تبثها الجهات المختلفة في الحج ما لم يكن هناك تظافر للجهود وتعاون وتعاضد بين الجهات ذات العلاقة بشكل قوي وعميق، كما لا ينبغي أن يقصر التواصل على جهة واحدة، بل لابد من استغلال كل من يستطيع التأثير على الحجاج ليوصل إليهم التوجيهات والإرشادات.

فليست وسائل الإعلام وحدها القادرة على ذلك، بل قد يكون الدعاة والعلماء وطلبة العلم أقدر على ذلك وأكثر فاعليّة من وسائل الإعلام، لاسيما في موسم ديني كذا الموسم العظيم، فإذاً لا بدّ من استغلال ذلك والاستفادة منه وعدم الغفلة أو التغافل عنه.

٢) لا بدّ من وضع استراتيجية وخطة عمل متكاملة للتوعية العامة للحجيج؛ لأن العمل العشوائي لا يحقق النجاح المطلوب، وليس أقدر على تولي مثل هذه الأمور من المعهد تنشئ لأجل الحج وهو معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج الذي أثبت من خلال تجارب متعددة قدرته على ممارسة هذا الدور من خلال ما قدمه من دراسات متعددة ليست نظرية فحسب بل ميدانية أثبتت جدية المعهد وقيامه بالدور المنوط به، فلو كُلف المعهد بوضع خطة عمل للتوعية العامة في الحج وأنجح الأساليب وأهم الوسائل لتحقيقها من خلال دراسات نظرية وميدانية، أعتقدُ أنه سيحقق نجاحًا كبيرًا في هذا الأمر وسوف يكون للخطة التي يضعها أكبر الأثر في جانب توعية الحجاج، وبالتالي في تجنب موسم الحج الكثير من المآسي والكوارث التي تحصل بسبب ضعف التوعية لدى الحجاج.

٣) تكثيف التوعية على الفئات الأقل وعيًا وإدراكًا من خلال الوسائل والأساليب المختلفة، والاعتماد على اللغة في ذلك، وعدم الاقتصار على اللغات العالمية الحية كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية، بل تجاوزها إلى اللغات العالمية الأخرى، بل والمحلية منها إذا كنا في حاجة إلى توعية فئة أو طائفة تحتاج إلى مزيد توعية وإرشاد، ولعل الغفلة عن لغات القوم هو السبب في وقوع الكثير من الحوادث بسبب جهلهم، فلا بدّ من العناية بهم.

وفي ختام ورقة العمل هذه أسأل الله ﷻ بمنّه وكرمه أن يوفق ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة إلى القيام بهذه المهمّة الجليلة والواجب العظيم على أكمل وجه وأن يسددهم لما يحب ويرضى.

كما أسأله -جلّ وعلا- أن يوفق القائمين على معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج للقيام بدوره الحقيقي في المساهمة في تحقيق الحج التام من خلال الدراسات والأبحاث والمؤتمرات والندوات المفيدة في هذا الجانب.

وأشكر جامعة أم القرى وجامعة طيبة على إتاحة هذه الفرصة لي للمشاركة بهذا الملتقى..

وصلى الله وسلم على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..